

بعد أن تولى الخليفة هشام بن الحكم الذي لقب بهشام المؤيد بالله الحكم بالوراثة الصغير السن الذي لم يتجاوز عمره أحد عشر عاماً حدث فراغ سياسي في الحكم واختلف الناس حول هذه الظاهرة الجديدة في الأندلس وظهر تياران مختلفان السياسي أيد حكم الخليفة الطفل وتزعمه قائد الشرطة (محمد بن أبي عامر) بمؤامرة أم لخليفة السيدة (صبح) وانتصر على التيار العسكري الذي قاده الصقالبة، فعُين وزيراً وحاجباً للخليفة هشام المؤيد بالله في عام (٣٦٧ هـ/٩٧٧ م)، فقد طغت شخصية محمد بن أبي عامر المؤثرة في التاريخ الأندلسي المتميزة واتسمت بالدهاء والقدرة من خلال تسلسله الوظيفي في قصر الخلافة وما امتاز به من الفطنة والبدية السريعة والطموح للوصول إلى هدفه حتى دخل قصر الخلافة واطلع على الأمور الخاصة للأسرة الحاكمة مما جعله يفرض الوصاية على الخليفة الصغير السن بحجة الحجابة، وبذلك نقل حكم الدولة من الأسرة الأموية إلى الأسرة العامرية، ولم تبقَ من سلطة الخلافة سوى الاسم . استطاع الحاجب محمد بن أبي عامر أن يستغل ضعف الخليفة ويستحوذ على السلطة بتصفية معارضيه بالتقرب من أم الخليفة السيدة صبح بالتودد لها وإعطاء الهدايا، فضلاً عن انه محارب فقد تطوع في قتال الممالك الإسبانية عندما تقدمت نحو قرطبة واستمرت تلك الحملة إثني وخمسين يوماً فاشتهرت شخصيته في الأندلس كبطل شعبي وكسب عطف الناس إليه، ففي عام (٣٦٨ هـ/٩٨٧ م) أصدر الحاجب بياناً يمنع فيه دخول احد على الخليفة إلا بأمره أو خروجه من القصر إلا بإذنه فأصبح هو الحاكم المتفرد الوحيد وأصدر النقود باسمه واسم الخليفة، وبذلك سيطر على الأندلس فأصبح هو الحاكم الفعلي حتى اصبح الخليفة هشام المؤيد بالله كعمقل أو سجين فاقد لأي قرار سياسي . وفي عام (٣٧١ هـ/٩٨١ م) قاد الحاجب المنصور جيشاً باتجاه قلعة سموره والذي استطاع أن يقتحمها فدمر معظم معالمها وأوقع بهم هزيمة منكرة فأصبح طريق العاصمة ليون مفتوحاً أمامه إلا أنه لم يكمل طريقه لشدة البرد القارس، واستطاع محمد بن أبي عامر القضاء على ثورة الصقالبة الذين كانوا يريدون أن يولوا (المغيرة بن عبد الرحمن الناصر) وهو عم هشام المؤيد بالله، لذلك هاجم محمد بن أبي عامر مع مجموعة شرطته متوجهاً إلى منزل المغيرة فقتله، وبذلك أيد موقف الخليفة هشام والبقاء في الحكم . وكان يشكل أكبر تحدٍ في قصر الخلافة للحاجب محمد بن أبي عامر هو قائد الفرسان (غالب الناصري) الذي حاول اغتياله لكنه لم يفلح مما دعاه للقتال وقبل بداية المعركة شعر غالب الناصري بوعكة أو بالغثيان فدخل الخيمة وانتشر خبر وفاته وبذلك افترق الجيشان، بعدها تفرغ الحاجب لمواجهة خطر الممالك الإسبانية فقد شارك في اثني وخمسين معركة لم يهزم فيها حتى لقب بالمنصور بعد أن قام بإصلاحات عسكرية كإدخال عناصر جديدة من الصقالبة والبربر وإدخال نظام الفروسية المتطورة في أساليب القتال والاهتمام بالإعلام الحربي المتمثل بالشعر والشعراء، ففي عام (٣٧٣ هـ/٩٨٣ م) قاد الحاجب المنصور جيشه نحو ليون عاصمة إقليم جليقية فحاصرها، وعلى الرغم من الإمدادات من قبل أرجاء بلاد الفرنج، إلا أنه انتصر عليهم وقتل في هذه المعركة أعداداً كبيرة من الطرفين وفي آخر الأمر فتحت ليون للمسلمين، وبذلك أصبحت هذه الغزوة من المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي لأهميتها، وفي عام (٣٧٤ هـ/٩٨٤ م) توجه الحاجب المنصور نحو الشرق واستطاع فتح برشلونة فلم يهزم في أية معركة من المعارك، وفي عام (٣٨٧ هـ/٩٩٧ م) استطاع الحاجب المنصور اقتحام (شانت ياقب) آخر معقل النصارى في شمال غرب الأندلس وهي منطقة وعة لم يصل المسلمون إليها منذ أيام الفتح الإسلامي ثم خرجت من أيدي المسلمين وفي أثناء سيره وجد عشرات الأنهر فضلاً عن سلاسل الجبال الوعة وعمل خطة بتقسيم الحملة إلى قسمين جيش بري ينطلق من مدينة (سالم) وقوة بحرية تنطلق من مدينة (قصر بن أبي دانس) تحمل العدة والطعام وقوات الهندسة حتى وصلت القوة البرية إلى نهر دوبرة وأمر أن تدخل السفن في النهر جانب المحيط الأطلسي فاصطفت السفن لتشكل جسراً يمكن العبور عليه وعبروا الجبال وفتح حصن بلاي والوصول إلى شانت ياقب التي كانت خالية من سكانها لهروب أهلها منها بعد سماعهم وصول المسلمين إليها، ولم يعتد على القبر أو الكنيسة.